على ان مضي فترة خمس سنوات مشحونة بالاحداث والتحولات التالية لحرب اكتوبر ، قد أوجد ـ بعيدا عن تقديرات المبالغة والتهوين ـ درجة غير قليلة من الخلط بين التطورات التي تربطها علاقة سببية بالاوضاع التي خلقتها حرب اكتوبر ، وبين التطورات التي لا تربطها بها مثل هذه العلاقة ، انما تربطها بها فقط علاقة التتابع الزمني ، بينما اتت هذه التطورات سببا ونتيجة لاوضاع بعضها سابق على حرب اكتوبر ، واعتبارات بعضها ذاتي وبعضها كان من شانه ان يقع لو لم تقع حرب اكتوبر على النحو الذي وقعت به ، او لم تقع اصلا ٠

ورغم هذا الخلط ـ الذي لا يساعد على فهم النتائج السياسية لتلك الحرب ويزيد من صعوبة الخروج بالدروس المستفادة منها ـ فان فترة السنوات الخمس الماضية بأحداثها الكثيرة وتطوراتها الحادة تلقي كثيرا من الاضواء على حرب اكتوبر نفسها ، وتوفر منظورا ارتجاعيا اليها يساعد على فهم الكثير من غوامض احداثها ، وما تخللها من قرارات ، خاصة على الصعيد السياسي ٠ وبالتالي فان الاحداث التي وجدت مكانها على خريطة الحياة السياسية في هذه الفترة تساعد على فهم طبيعة حرب اكتوبر السياسية بأوضح مما حاولت فهمها النظريات والفرضيات التي اثيرت بمجرد وقوعها او بمجرد انتهائها على النحو الذي انتهت اليه ٠

بمعنى ان حدثا مزلزلا مثل زيارة رئيس النظام المصري السادات للكيان الصهيوني في اواخر عام ١٩٧٧ ـ والتحجيم الذي اصابه اذ فقد دويه الهائل خلال فترة زمنية قصيرة للغاية ـ يمكن النظر اليه من زاويتين مختلفتين دون ان يؤدي ذلك الى الخروج باستنتاجات سياسية مختلفة :

☐ ـ زاوية كونه حدثا املته اعتبارات ليست في الاساس من صنع حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل الاحرى ان تكون املته اعتبارات صنعتها حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وان يكن مردودها قد تأخر الى ما بعد الحرب الاخيرة ٠ اي انه حدث يمكن تصور وقوعه مع تصور عدم وقوع حرب اكتوبر ٠

☐ ـ زاوية كونه حدثا ترتب على الاوضاع التي خلقتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل وانه ـ وفق تصورات « بطله » الرئيسي (السادات) ـ استثمار سياسي لنتائج تلك الحرب بالتحديد في جانبيها العسكري و « النفسي » ٠

كذلك فان احداث فترة السنوات الخمس الماضية تسمح لنا بأن نقدر مدى تفاوت مقدرة الاطراف المختلفة على استثمار الاوضاع الناجمة عن حرب اكتوبر لصالحها ، او ـ في بعض الاحيان ـ تجاوز تلك الاوضاع وتجاهلها تماما ، حينما يتفق ذلك التجاهل مع تلك المصالح ٠ وعلى سبيل المثال فان الولايات المتحدة استطاعت ان تستثمر الوضع « النفطي » الذي نشأ عن حرب اكتوبر استثمارا رابحا على المستويين الاقتصادي والاستراتيجي (وبالتالي السياسي) لمصلحتها ، عن طريق دعم دورها في « عملية السلام » منذ البداية ، وعن طريق دعم نفوذها لدى الاطراف العربية المسؤولة عن ذلك الوضع النفطي الذي نجد على الساحة كنتيجة لحرب اكتوبر ٠ وهي في الوقت نفسه نجحت في تجاوز وتجاهل الاوضاع التي نشأت عن تلك الحرب عندما وجهت عملية السلام » في الاتجاه المعاكس تماما للاهداف المعلنة للاطراف التي « صنعت قرار » حرب اكتوبر ١٩٧٣ ٠

فهل يمكن ان نستنتج من هذا المزيج من المتناقضات والنتائج المختلطة ان تطورات